

مجمع الأمثال

657 - تَرَكَتُهُ تُغْنِيهِ الْجَرَادَاتَانِ .

يضرب لمن كان لاهياً في نعمة ودعة . والجرادتان : قَيْنَتَا معاوية بن بكر أحمَدِ العَمَالِيقِ وَإِنْ عَادَا لِمَا كَذَّبُوا هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَالَّتْ عَلَيْهِمْ ثَلَاثُ سِنَوَاتٍ لَمْ يَرَوْا فِيهَا مَطْرًا فَبِعَثُوا مِنْ قَوْمِهِمْ وَفَدَا إِلَى مَكَّةَ لِيَسْتَسْقُوا لَهُمْ وَرَأَسُوا عَلَيْهِمْ قَيْلَ بِنِ عِنَقِ وَلُقَيْمِ بِنِ هِزَالٍ وَلِقَمَانَ بِنِ عَادٍ وَكَانَ أَهْلُ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ الْعَمَالِيقِ وَهُمْ بَنِي عَمَلَيْقِ بِنِ لَوِذِ بِنِ سَامٍ وَكَانَ سَيِّدُهُمْ بِمَكَّةَ مَعَاوِيَةَ بِنِ [ص 132] بَكْرِ فَلَمَّا قَدِمُوا نَزَلُوا عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَخْوَالَهِ وَأَصْهَارَهُ فَأَقَامُوا عِنْدَهُ شَهْرًا وَكَانَ يَكْرَهُمُ وَالْجَرَادَاتَانِ تَغْنِيَانِهِمْ فَذَسُّوا قَوْمَهُمْ شَهْرًا فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : هَلَّاكَ إِخْوَالِي وَلَوْ قُلْتَ لَهُؤُلَاءِ شَيْئًا ظَنُّوا بِي بِخَلَا فَقَالَ شَعْرًا وَأَلْقَاهُ إِلَى الْجَرَادَتَيْنِ فَأَنْشَدَاهُ وَهُوَ :

أَلَا يَا قَيْلُ وَيَحَاكَ قَمَّ فَهَيِّنْ لِي ... لَعَلَّ اللَّاهِيَةَ يَدْبَعُثُهَا غَمَامًا .
فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنْ عَادَا ... قَدَّامُ سَوْأٍ لَا يُبِينُونَ الْكَلَامَا .
مِنَ الْعَطَاشِ الشَّدِيدِ فَلَيْسَ تَرَجُّو ... لَهَا الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْغُلَامَا .
وَقَدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمْ بِخَيْرٍ ... فَقَدْ أَمْسَتْ نِسَاؤُهُمْ أَيَّامِي .
وَإِنْ الْوَحْشَ يَأْتِيهِمْ جَهَارًا ... وَلَا يَخْشَى لِعَادِي سَهَامَا .
وَأَنْتُمْ هَهُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ ... نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمْ التَّمَامَا .
فَقَبِحَ وَفَدُّكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ ... وَلَا لِقُؤُوا التَّحِيَةَ وَالسَّلَامَا .

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض : يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوسون بكم فقاموا ليبدؤوا وتخلف لقمان وكانوا إذا دعوا جاءهم نداء من السماء : أن سلوا ما شئتم فتعطون ما سألتهم فدعوا ربهم واستسقوا لقومهم فأنشأ لهم ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من السماء : يا قَيْلُ اخْتَرِ لِقَوْمِكَ وَلِنَفْسِكَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ السَّحَابِ فَقَالَ : أَمَا الْبَيْضَاءُ فَجَفَلُ وَأَمَا الْحُمْرَاءُ فَعَارِضُ وَأَمَا السُّودَاءُ فَهَطْلَةٌ وَهِيَ أَكْثَرُهَا مَاءٌ فَاخْتَارَهَا فَنَادَى مَنَادٍ : قَدْ اخْتَرْتُ لِقَوْمِكَ رَمَادًا رَمَادًا لَا تَبْقَى مِنْ عَادٍ أَحَدًا لَا وَالِدًا وَلَا وَلَدًا قَالَ : وَسِيرُ السَّحَابَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا قَيْلُ إِلَى عَادٍ وَنُودِي لِقَمَانَ : سَلْ فَسَأَلَ عُمَرَ ثَلَاثَةَ أَنْزُسُرٍ فَأَعْطَى ذَلِكَ وَكَانَ يَأْخُذُ فَرَّخَ النَّسْرِ مِنْ وَكْرِهِ فَلَا يَزَالُ عِنْدَهُ حَتَّى يَمُوتَ وَكَانَ آخِرَهَا لِيَدٍ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ النَّابِغَةُ :

أَضْحَكَتْ خَلَاءَ وَأَضْحَى أَهْلُهَا اخْتَلَمُوا ... أَخَذَنِي عَلَيْهَا الَّذِي أَخَذَنِي عَلَى

لِيَدٍ

